

العبادة عند اقبال

عبدالرحمن الطاهر السورتى

مجمع البحوث الاسلاميه

اسلام آباد

العبادة فى لغة العرب

اصل العبادة فى لغة العرب التذلل والانقياد والطاعة مع الخضوع واتباع القوانين، و معنى عبادة الله، اتباع سننه و أحكامه و تنفيذ أو امر الله و تعليماته .

العبادة فى القرآن

إذا اسعنا النظر فى القرآن المجيد رأينا ان غاية خلق الجن والانس ان يعبدوا، قال تعالى ذكره : ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . (١) وان اليقين لا يأتى الا بالعبادة، قال الله تعالى ذكره : واعبد ربك حتى يأتىك اليقين (٢) ولا يليق بالعبادة ولا يستحقها الا الله الواحد، فاذا عبد احد غير الله فقد اشرك، واذا جاء العبد بالشرك الى الله فقد اقترف ذنبا لا يغفر، وما أمرنا الا لنعبد الها واحدا مخلصين له الدين .

العبادة والعلم : العبادة لا تكون الا بالعلم و على قدر العلم والمعرفة، و لذلك لما خلق الله آدم لعبادته علمه الاسماء كلها، و علمه ما لم يكن يعلم، فالانسان يزيد فى علمه بتجاربه وبشاهداته و اختباراتة، ولا يصبر على معرفته السابقة ولا يقتنع بعلمه المتقدم، لانه أمر ان يدعو الله : رب زدنى علما (٣) و هناك آيات كثيرة فى القرآن المجيد تفرض العلم كما ان هناك آية تفرض العلم لمن يقول لاله الا الله، فقد قال الله تعالى : فاعلم انه لا اله الا الله (٤) . كما نهى الله

عبده المؤمن عن قرب الصلاة الا بعد ان يعلم ما يقوله (هـ) و طلب من عباده ان لا يخروا على آياته صما و عميانا (٦)

ان الانس والملائكة كلهم عبادالله غير ان الانسان اتسع علمه و غلب عليه الاختيار، فالخير يتفكر و يختار له ما يريد والسير مقيد و ملزم باتباع الاوامر، بدون ان يتجاوزها او يعصى ما أمر، فالانسان يشك و يشاهد و يختبر و يجتهد، فهو يخطئ و يصيب، والملائكة لا يعصون الله ما يأمرهم و يفعلون ما يؤمرون (٧) . اما آدم فعصى ربه (٨)

يقول محمد اقبال : " إن وجود الانسان وتقدمه الروحي يتفان على إحكام العلاقات بينه و بين الحقيقة التي يواجهها، و هذه العلاقات تشتمها المعرفة، و هي الادراك الحسى الذى يكمله الادراك العقلى . " اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدر لك، قال انى أعلم ما لا تعلمون . و علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون،، (سورة البقرة : الآيات ٣٠ - ٣٣) (٩)

ان سنن الله جارية فى الكون، و قد جعل الله لكل شىء قدرا، و قرانين الله منفذة فى كل ناحية من نواحي الحياة، فمعرفة قدر الله وقضائه عبادة، و عليه اعتمد عمر رضى الله عنه فى قوله : نقر من قدر الله الى قدر الله . و يشرح هذا المعنى اقبال بصورة رائعة و اسلوب بديع حيث يقول : "الطبيعة بالنسبة للذات الالهية، كالصفة بالنسبة للنفس الانسانية، وهى فى التعبير القرآنى الرائع "سنة الله،

وهي من وجهة نظر الانسان تفسير نخلعه في موقفنا الحاضر، على القدرة الخلاقة للذات المطلقة . وفي لحظة معينة من لحظات تقدسها الى الامام تكون متناهية، ولكن لما كانت الذات التي هي جوهرية بالنسبة لها ذات خالقة، فانها تكون قابلة للزيادة، و لهذا لا يكون لها حد، بمعنى أن أي حد لاستدادها ليس حدا نهائيا . انها غير محدودة بالقوة لا بالفعل، فالطبيعة اذن يجب أن تفهم على أنها مركب حتى دائم النمو، ونموه ليست له حدود نهائية خارجية، بل حد داخلي : هو الذات الازلية، التي تبعث الحياة في الوحدة الكلية و تبقيا حية، كما يقول القرآن الكريم :

”وأن الى ربك المنتهى“ (النجم آية : ٤١) و على هذا فان الرأي الذي اصطنعناه يضيف على العلوم الطبيعية معنى روحيا جديدا . فالعلم بالطبيعة هو العلم بسنة الله، ونحن في ملاحظتنا للطبيعة انما نسعى في الحقيقة وراء نوع من الاتصال الوثيق بالذات المطلقة، وما هذا الا صورة أخرى من صور العبادة . (١٠)

و حيث ان العلم لانهاية له ولايزال الانسان يتدرج اليه، فطلب العلم عبادة عند اقبال، و يكون عبادة كل انسان بموجب علمه، والعبادة تزيد بزيادة العلم . و كما كتب اقبال : ان حاجات الامة الروحانية لاتزال تتغير بمقتضى وجهة نظرها . (١١) فان العبادة تتخذ سبلها الجديدة لاعلاء كلمة الله، واقامة العدل بين الناس .

العبادة عند اقبال ان يقترب العبد من ربه بازالة كل ما يحول بينه و بين ربه، لان الرب هو الخير و منه الخير، فالعبد يسلك دائما سبيل الله . ولا يدع في سبيل الله من يصد عن سبيل الله . ان العبادة لا ترضى ببقاء الحجاب بين الخالق والمخلوق، فتزيل الجهل العائق في سبيل الله . و تميط الآلهة الباطلة سواء كانت قديمة ام حديثة، كما تنحى الاحبار و الرهبان من سبيل الله . ان

التغلب على كل ماسوى الله، والسيطرة عليه، و تسخيره سبب لقرب الله، و هذا التسخير عبادة عند اقبال به تعلی كلمة الله و يكبر تكبيرا .

العبادة والدعاء :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدعاء سخ العبادة (١٢) و ذلك لان العبد عند الدعاء يعترف بخضوعه وضعفه، و يتوجه الى الله بغاية التذلل والانقياد، و يخاطب ربه كأنه يراه فالعبادة والدعاء متلازمان . وقد جاء الدعاء فى القرآن الكريم بمعنى العبادة، فى قوله تعالى : وقال ربكم ادعوني استجب لكم، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين . (١٣)

الدعاء عند اقبال كالروح فى قوله تعالى : قل الروح من امر ربي . (١٤) يذكر العبد أن له الرفيق الاعلى، ينصره ويؤيده كل حين، و أن هناك رقيباً يراعيه و يرقب أعماله، و هذا الشعور يوجد عند كل انسان سواء كان مسلماً أو كافراً، و كلما يشتد هذا الشعور كلما تشتد قوة الايمان و تتوطد علاقة الانسان بالدين . وبدونه تتحول الحياة الى عذاب و سعير و يستولى الياس على الانسان .

ان بعض الاعمال عند اقبال تعطى نتائجها طبق قوانين الطبيعة، و معرفة هذه القوانين فى متناول العقل الانسانى، اما الدعاء عند اقبال فهو تابع لقانون المشيئة التى لا يدركها عقل الانسان و علمه .

فلسفة اقبال "الذاتية"، و العبادة :

ان للعبادة فرعين (١) ايمان و تفكير و قول (٢) عمل و تسخير وابتكار . وهما لحمة العبادة و سداها، وان فلسفة اقبال "الذاتية"، التى اشتهر بها اقبال، رالتى اخضع لها نثره و شعره، ولا تكاد توجد منسحة من كتاباته الاوفيهما شرح من

الذاتية، وخلاصة هذه الفلسفة، الحركة والحجارة، و البلوغ الى الغاية، وتخليق المقاصد للوصول اليها، والنجهاد الدائم والكفاح المتواصل لاستخراج كل ما عند الانسان من قوى و مواهب، و اقتحام كل عقبة تحول بينه و بين غايته العليا وهى اعلاء كلمة الله، بازاله الشر والفساد والظلم وإقامة الخير والصلاح والعدل . اذن فيمكن لنا ان نقول ان اقبالا يفسر بفلسفته الذاتية معنى العبادة، لانه يقول : إن الانسان لا يكمل ذاتيته ولا ينال غايته الا باتباع أحكام الله وهى كما ذكرنا نفس عبادة الله، يقول اقبال :

والدؤن الحر لاشئ يقيده

لكن لخالقه فى قيد أحكام (١٥)

ان "الذاتية"، عند اقبال لا تنسو ولا تكمل الا بكلمة التوحيد لا اله الا الله، و ترقية الذاتية و تسميتها و اكمالها فى الفرد والجماعة هى العبادة، يقول اقبال :

ستسر فى الذات معنى بعيد

سره لا اله الا الله

سيف الذات قاطع غير ناب

شحذه لا اله الا الله

عصرنا يبتغى خيلا حطوبا

وثنه، لا اله الا الله (١٦)

و كمال الذاتية عند اقبال ان يتخلق العبد بأخلاق الله و يصطبغ بصبغته، حتى يكون رضاه رضا الله، وان يحسن الى المجتمع كما أحسن الله اليه، وان تكون آماله و اعماله وافكاره وطموحه و ميوله و نزعاته كلها تبعا لما امر الله به، وان يستنير بنور الله، وان يجلب الخير والحسن والجمال والكمال من ينوعها، وهو ذات الله العلى الصمد، فبناء الذاتية و اكمالها عبادة، و بذلك لا يعمل العبد

علا الا ويكون رضا الله معه، كما قال الله تعالى : وما رسيت اذ رسيت ولكن
الله رسي (۱۷)

خودی کو کر بلند اتنا کہ ہر تقدیر سے پہلے
خدا بندے سے خود پرچھے بتا تیری رضا کیا ہے (۱۸)

ان المؤمن الكامل او الرجل المؤمن او العبد المؤمن عند اقبال هو الذي
تجلت ذاتيته و كملت اخلاقه، واليكم بعض سيزاته و صفاته التي تتجلى بها
معنى العبادة :

ان المؤمن يكون آية من آيات الله :

بندہ مؤمن زآیات خدا است (۱۹)

وانه يكون مبشرا لمن يحسن ويصلح، ونذيرا لمن يفسد و يسيء :

اے بندہ مؤمن تو بشیری تو نذیری (۲۰)

انه يحيى السوتى بنفخه ك سراقيل :

بناہ مؤمن سراقیلی کند (۲۱)

انه يحطم الاصنام و يزيل الانداد ولا يتخذ له سبيلا الا سبيل الحق :

بندہ عشق از خدا گیرد طریق (۲۲)

فالمبذ المؤمن يكون منافسا و سمارعا قويا للشيطان يصارعه فيصرعه،

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان رج كل انسان شيطانا، فسألوه : أو

ملك ايضا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال نعم، ولكنه أسلم :

يك حريف پخته تر باید مرا (۲۳)

ان العبد المؤمن يكون غالبا على الباطل، لان قوته قوة الله، و يده يده الله .

ہاتھ ہے اللہ کا بندہ مؤمن کا ہاتھ

غالب و کار آفرین کارکش و کارساز (۲۴)

ان العبد المؤمن لا يكون عبداً لغير الله، لأنه بعدد ما يجعل الله الواحد سواه
يصير سولى الورى، ويحطم القيود والاعلال :

خاكى و نورى نهاد بنده سولا صفات (۲۵)

مسلمان بنده سولا صفات است (۲۶)

هر كهن معبود راكن ريز ريز (۲۷)

ولا يكون العبد المؤمن سولى الورى الا بعد معرفته ربه الذى يرزقه،
لانه اذا عرف رازقه تحرر من قيد الملوك والسلاطين واستراح من كيد الاحبار
والرهابين :

اپنے رزاق کو نہ پہچانے تو محتاج ملوك

اور پہچانے تو ہمیں تیرے گدا دارا وجم (۲۸)

المراجع

- (۱) الذاریات : ۵۶
- (۲) الحجر : ۹۹
- (۳) طه : ۱۱۴
- (۴) محمد : ۱۹
- (۵) النساء : ۴۲
- (۶) الفرقان : ۸۳
- (۷) التحريم : ۶
- (۸) طه : ۱۲۱
- (۹) تجديد التفكير الدينى : لمحمد اقبال، ترجمه عباس محمد ص : ۲۰
- (۱۰) تجديد التفكير الدينى لمحمد اقبال، ترجمه عباس محمد ص : ۶۸
- (۱۱) اقبال نامه دوم : ۲۱۶
- (۱۲) الترمذى، باب الدعاء
- (۱۳) المؤمن : ۶۱
- (۱۴) بنى اسرائيل : ۸۵
- (۱۵) ضرب الكلیم لمحمد اقبال ترجمه عبدالوهاب عزام بك : ۴۴
- (۱۶) ضرب الكلیم، لمحمد اقبال ترجمه عبدالوهاب عزام بك : ۸

- (۱۷) الانفال : ۱۷
(۱۸) بال جبریل
(۱۹) جاوید نامه : ۱/۷۳
(۲۰) ضرب الکلیم : ۷/۹۸۷
(۲۱) مسافر : ۷/۳۵
(۲۲) جاوید نامه : ۳/۲۴۲
(۲۳) : جاوید نامه
(۲۴) بال جبریل : ۱/۱۳۲
(۲۵) بال جبریل : ۳/۱۳۲
(۲۶) ارمغان حجاز : ۱/۱۱۶
(۲۷) مشنوی : ۱/۱۴
(۲۸) بال جبریل : ۱/۳۳
-